القسطنطينيّة حوّلها زورًا بعض الملاحدة على الكنيسة الرومانيّة وموّهوها بتفاصيل فريّة كاذبة . وعلى كلّ حال لو كان الكرسيّ الرسوليّ في القرن التاسع الى القرن الحادي عشر تدنّس بما نسبهُ اليهِ المشعوذون لما كان سها كيرولاريوس بطريرك القسطنطينيّة وهو من ألدّ اعداء الكنيسة الرومانيّة عن تقريع البابا لاون التاسع ورد سهمهِ اليهِ

فهذه نبذة قصيرة كان يمكننا ان نطيلها بشواهد غيرها تزيدها اثباتاً لكنّ في ما ذكرنا الكفاية لمن يطلب الحقّ ويؤثر الباطل

آثار قديمة في معراب

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

قبل ان نباشر بوصف هذه الآثار احببنا ان نصدّرها ببعض المعلومات التي استفدناها من حضرة الخوري الفضّال بطرس باسيل الذي حضر اكتشاف تلك العاديّات في معراب في بعض املاكهِ قال :

معراب قرية صغيرة في كسروان تتّصل بفوسطا من جهة الجنوب وبدلبتا من الشمال وهي على جبل عالٍ مشرف على البحر يمتدّ منها النظر الى مسافة بعيدة طيبة الهواء بما يكتنفها من الغابات الكثيفة وفي وسطها رابية مستديرة الشكل تعلو عن سطح البحر نحو من ٨٤٠ متراً . وعلى قمّة هذه الرابية المعروفة « بالقلعة او الحصن » آثار ابنية قديمة العهد بقي منها قسم اساس جهتيها الشرقيّة والجنوبيّة . والى جانبيها الشرقيّ والشماليّ ابنية متهدّمة متراكمة مما يدلّ على شرف هذا المكان في سالف العصور . وقلّما ورد لها ذكرٌ مع ذلك في كتب المؤرخين الّا عرضاً . قال الدويهي في تاريخ الطائفة المارونيّة (ص ١٢٥ — ١٢٦) في وقائع سنة ١٣٠٧ ما حرفهُ : « قيل ان جسر المعاملتين بناهُ سليمان بن عراب وهو الذي بنى حصن معراب شرقيّ غزير » . وروى مثل ذلك الامير حيدر في تاريخهِ (ص ٤٨١) وانما دعا بانيهُ « سليمان بن معراب »

فمن هو هذا ابن مراب او ابن معراب ؟ وهل يتفق عهده مع عهد هذه الابنية في القدم ؟ فانَّ هناك من الآثار الرومانيَّة وسواها ما لا ينطبق على هذه الرواية من حيث الزمان

وفوق قرية معراب في شرقيها على بعد عشرين دقيقة منها قرية اخرى صغيرة تدعى « قلعة معراب » لوجود بناء عظيم بقربها

وقد وصف حضرة الاب لامنس في كتابه تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار (١ : ٣٧ — ٣٨) هذه القلعة . ويرجح هناك انها اخربة معبد قديم اقامه الرومان على تلك المشارف . وموضوع بحثنا هنا ليس هذه القلعة البعيدة عن القرية بل الحصن الكائن في نفس معراب وراء الكنيسة القديمة شمالاً وهو الذي اشار اليه الدويهي

فبينما كان بعض الفعلة يشتغلون بحفر اساس بيت جديد شرع في بنائه حضرة الخوري باسيل علي انقاض ذلك الحصن اذ عثروا على صحيفة مبتورة طولاً وعرضاً على جانبيها كتابة لاتينيَّة نثبت نصها وفحواها قريباً . وكذلك ستذكر اهم المسكوكات النحاسيَّة التي وجدت هناك مع تمثال ثور صغير من البرونز قديم جداً وسنان سهم او حربة

وقد افادنا حضرته انهُ قد عثر على رأس تمثال من الحجر الابيض المعروف بالجوي والرأس مشوَّه الانف والحاجبين يبلغ علوُّهُ نحو ثلاثين سنتيمتراً وقطرهُ نحو العشرين ؛ وعثر ايضاً على حجر من هذا النوع يبلغ علوهُ نحو ١٣٠ سنتيمتراً بعرض ٤٠ سنتيمتراً بشكل مربع على جوانبه الاربعة نقوش ورموز لم يُدرَك مغزاها . وقال ان بعض شيوخ قريته اخبره انهُ عندما شرع اهل القرية ببناء كنيستهم كانت جدران هذا الحصن لم تزل قائمة على علو نحو اربعة اذرع فنقلوا حجارته واقاموا بها كنيستهم . وعثروا على جثة صنم مقطوع الرأس وليس لهم اهمية في الآثار فنحتوا هذه الجثة وجعلوها عتبة لباب الهيكل

وهاك الآن وصف اخص للنقود القديمة التي عرضها علينا حضرة الاب مع شرح الكتابة المنقورة على جانبي الصفيحة

﴿النقود﴾ اقدم ما فيها من المسكوكات يرتقي الى عهد الرومان ما عدا نقداً

واحدٌ كبيرًا من البرونز ضربهُ على اسمهِ بطلميوس الثالث المعروف باورغاتيس . في مدينة بطلمايس وهي عكة . ومعظم هذه النقود هي بيروتيَّة ضُرب واحد منها في بيروت على عهد القيصر تِرْفا (٩٦–٩٨م) . وبينها نقدٌ آخر عليهِ اسم القيصر تراجان (٩٧–١١٨م) ونقدٌ ثالث على زمن كراكلا (١٩٨–٢١٧م) . ثمّ نقد رابع ضرب في أيام الملك غورديانس الثالث (٢٣٨–٢٤٤) . وبين تلك المسكوكات ثلثة لمدينة صيداء عليها صورة القيصر هياوغابال الحمصيّ الاصل (٢١٨ – ٢٢٢) ثم نقدان الواحد للقيصر كومودس (١٧٥ – ١٩٢) والآخر لهليوغابال وعذان ضُربا في جبيل – واخيرًا مسكوك نحاسيّ لسدومطيانوس قيصر (٨١ – ٩٦) ضُرب في انطاكية . فيستفاد من هذه النقود انّ المحلّ كان مأهولًا في أيام الرومان لكنّ شهادتها لا تكفي لبيان حضارة اهلها وخصبها

﴿ الصفيحة المعدنيَّة ﴾ يجب نظمُها في سلك الصفائح اللاتينيَّة المعروفة بالاجازات العسكريَّة . وكانت هذه الاجازة كصكّ رسميّ يُعطى لقدماء الجنود الذين كانوا خدموا في احدى الفرق العسكريَّة مدَّة ٢٥ سنة ينالون بموجبها حقوق المدنيَّة الرومانيَّة هم واولادهم . وكانوا يصدرون هذه الاجازة بموجب قرار من الامبراطور على صورة الشرائع فينقش نصُّها على صفيحة من البرونز ثمّ يعلّق اوّلًا في رومية على قمَّة الكابيتول ثمّ على جبل بَلاتان وراء هيكل اوغسطس . وكانوا يهدون منهُ نسخةً للمنعَم عليهِ بهذا الامتياز وكان النصّ مرقومًا على صفيحتين من المعدن مثقوبتين بثقوب متوازية ينظمون فيها اسلاكًا تضمُّها ضمًّا شديدًا بحيث تستحيل قراءة ما كُتب في داخلها وانّما النصّ يُقرأ فقط على احد الوجهين الخارجيَّين . والوجه الآخر كان يتضمَّن اسماء ستَّة شهود على صحَّة النسخة واسافتها . اما الوجهان الداخليَّان فكانا ملتحمين بستَّة ختوم من الشمع ومكتوب عليهما ما كان مرقومًا على الصفيحتين الخارجيَّتين احترازًا من التزوير واثباتًا لصحة الاجازة

والقطعة الصغيرة من الاجازة العسكريَّة التي وجدت في معراب قد كُتب على وجهيها نصّ الحكم الامبراطوري الذي بموجبهِ تُمنح حقوق المدنيَّة الرومانيَّة لاحد قدماء الجنود الذي سقط اسمهُ واسم الفرقة التي كان منتظمًا فيها وانما ورد فيها كالوف العادة لائحة فيالق الفرسان والمشاة الذين نال جنودها القدماء حقوق المدنيَّة

الرومانيَّة . واذا قابلنا بين اجازة معراب واجازات أُخرى وُجدت في غير بلاد (١ لكنَّا القول بانَّ الجندي صاحب اجازة معراب كان من جنود فيالق راسية Rhétie باللاتينيَّة Rætia من اعمال بلاد باڤارية وتيرول الممتدَّة الى نهر إنّ (Inn) . دونك نصّ معراب في اصله اللاتيني مع تدوين الالفاظ المختصرة والدلالة على المحذوف منها بقوسين ( ) اما الساقط منها فدللنا عليه بمعقّفين [ ]:

Imp(erator) Cæs(ar), divi H(adriani) f(ilius), divi Trajani Parthi
ci nep(os), divi Nervæ prone(pos), T(itus) Aelius H(adrianus)
Antoninus Aug(ustus) Pius , pont(ifex) max[(imus), trib(unicia
potes(tate) .
imp(erator) II, co(n)s(ul) II[II, p(ater)p(atriæ),
equitib(us) et peditib(us) qui m[ilitaver(unt) in alis
IIII quæ appellantur II Fl(avia miliaria) [et ....
et I Fl(avia) Gemell(iana) et Sing(ularium) c(ivium) r(omanorum) et coh(ortibus) XIII, I Fl(avia) Canath(enorum)
(miliaria) Sag(ittariorum) et[Breucor(um) et I et II Ræt(orum) et II Aquit(anorum)
et III Bracaraug(ustanorum) et II Th(racum)] et III Th[r c(ium)
c(ivium) r(omanorum) et III Britann(orum) et IIII[Gall(orum) et V Bracar] aug(ustanorum)
et VI Lusit(anorum) et VIIII Batav(orum) [et sunt in Raetia
sub Vario Clemente proc(uratore), XXV[stipend(iis)
[emer(itis) dimiss(is) honest(a)] missione, qu[orum nomina
[subscripta sunt ...

واوّل ما يستفاد من هذا الاثر لائحةُ ما كان للرومان من الفيالق العسكريَّة في بلاد ريسية من السنة ١٥٤ الى ١٦٠ للمسيح . ومنهُ ايضاً يتّضح معنى ونسبة آثار اخرى مثله كالاجازة الرابعة والمئتين في تاريخ سنة ١٥٣ التي وجدت في مدينة

---

١) اطلب مجموع الكتابات اللاتينيَّة = Dipl. XXXV (XXIV) - CIL, III, 866 Dessau, 2002; Dipl.LXXIII,-CIL,III S,p 1991.

راتسبون (١ . فانها منذ الآن يجب نسبتها الى فيلق ريسية بدلاً من فيلق النوريك (Noricum) والنوريك اقليم روماني يوافق اليوم بلاد غسة الحاليَّة

ثم يمكننا ايضاً ان نستخلص من هذا الاثر ان اهل سوريَّة الذين كانوا يكتتبون في الجنديَّة الرومانيَّة كانوا عند انتهاء مدَّة خدمتهم البالغة ٢٥ سنة يعودون الى اوطانهم بكل رضًى . والجندي المذكور في صفيحة معراب كان منتظماً بلا شكّ في الفئة العسكريَّة المدعوَّة باسم فلافيا الاولى المجموعة في جهات قنوات بين البصرى ودمشق . واما سلاحها الخاص فكان القوس والنشاب (I Flavia Canathenorum miliaria Sagittariorum) ولا غرو فانَّ اهل تراقية واهل سوريَّة كانوا افضل المحاربين بالقسيّ في العساكر الرومانية

وان سألت عن اعمال جندي معراب بعد ان اصاب حقوق الجنسيَّة الرومانيَّة ؟ اجبنا ان الرومانيين كانوا يمنحون الإقطاعات جنودهم القدماء في امكنة حصينة ليدافعوا عنها ويردُّوا غارات الامم او العصابات المعادية لدولتهم . وكان لبنان من جملة البلاد التي ناهضت زمناً السلطة الرومانيَّة فاضطرّ القائد بومپيوس ان يحارب امراءهُ كديونيسيوس الطرابلسيّ وسيلاس اليهودي ملك ليساس فلا يُستبعد ان الجندي المذكور في صفيحة معراب كان احد الجنود المستعمرين في تلك الانحاء لحفظ السلام والتصدّي لاهل الجبل عند محاولتهم غزو السواحل . ولعلَّهُ ايضاً كان احد المتولّين نظارة الغابات اللبنانيَّة حيث كان احتكار الامبراطور اربعة اجناس من اشجارها اي السرو والصنوبر والشربين والشوح لصلاحيَّة خشبها للعمار . وقد وجدوا الى اليوم نحو مئة كتابة حجريَّة للقياصرة ولاسيَّما للقيصر ادريانوس تنبئ باحتفاظهم لهذه الاجناس . ومما كانوا يخصُّون به اولئك الجنود القدماء اعمال النافعة كفتح الطرقات كما تدلّ على ذلك كتابات أُخرى كانت تنصب على اطرافها . هذا ما باشرهُ من العمل على رأينا جندي معراب عند رجوعهِ الى وطنهِ ولا نظنهُ انهُ عمد الى الراحة والبطالة والله اعلم

---

١) اطلب مجموع الكتابات اللاتينيَّة - Le diplôme de Ma'râb-CIL, III S,p. 1988 qui semble fixer l'attribution à l'armée de Rhétie du diplôme LXIV, sera publié dans les *Mélanges de l'Université St Joseph*